

ذرفت نهري وطيوري



www.balagh.com

أحببت في صغري كُتُباً كثيرة

تعلقت ببعضها كطفل يشد ثوب أُمّه

عشقت أخرى وأخفيتُها في ملامحي

وهربت من كُتُب سفكت عافيتي

حين قرأت قصيدة أول مرّة

انكمش صدري خلف القميص

راودني قلبي عن الحروف

جثوت فوق شفق الحكاية

نظرت إلى وجه القميصة

عيونها تحرق في الوجع العاري

حروفها تطفوا فوق فوهة الأُفق

والسطور رماح تطعن الصجيج

خالٍ لي حينها أن الشعر فيدّ راّ أسود

تنضج فيه الطلاسم والتمايم

لحظات استدرجتني لسدرة المعنى

صرير صدري كان مثل شجر يتقلّب

ظل قلبي يؤلمني مسافة موكب الرمل

مسّني هسيس المخطوط

في الليل كنت أسمع صراخ عصافير الماء

يأتي من وريد الريح الجاف

جهة النهر الكسيح

أستيقظُ مرتعباً وحيداً كل صباح

في كل نوبة هلع تنلبّس جسدي الحمّى

تصبّ أُمّي الرصاص السائل على الماء فوق رأسي

ترتّل العمات أورااد الطقوس الروحانية

يأبى مجنوني أن يغادرني

تقول أُمّي صدر ابني منقوب

كلما بكت أصابعه

يخرج من ضلوعه نخل ورمّان

لكن قلبه سيموت في كل صك مولود

طمئي لخزائن المطر يفشر عشبي

جرّّني صارية نهري

من فيض الخشوع للمصراخ المشروخ

كنت كما أذكر جنوني أضمر القارب في جيبي

أشدّ قلبي كي أسمع فاكهة السفر

وتسألني بلبل الطريق

كيف تنام القصيدة

إن لم يجد الصغار شمساً

يرمون لها نواجذهم

أو ساقية تلهو فيها مراكبهم الورقية

شجرة ربما يختبئون خلفها

لهذا ابتعت قدراً وقطفت الخرز الأخضر

وصرت ناسكاً

كتبت أوّل قصيدة

فارق التوت قلبي

لم أبرح لوني ولم أقرب زادي مسافة حقل

يقتلني هذا الجنون ولا يهجع

أحرقت كثيراً من الصور

وفديت قيدي بقمح عظيم

قبل أن أكتب الديوان الأوّل

قالوا انج بنفسك قبل أن يغتالك قلبك

لكنني يا ربي مسكون بالوجوه الحافية

كيف تستقيم القصيدة

وكلما دعا العشب أحبتنا للنوم

يفتحون لهم نوافذ الأرض خلف السور

قد بلغ الهذيان الانشطار

القصيدة تنتشي بالخواء الثقيل

تتسكع أسفل الظلال

لا معالم في الحروف

لا مكان لبساتين التين

القصيدة تغمض عينيها

تبدأ اللوعة هنا

مَن وهب الولادة شهفتها؟

مَن أسقط المواسم في فوضى اليقظة؟

محنة المرء أدغال المباهج

لا تظن رحم الماء ضرير

فهي معصية تريك وجه الغابة

لذلك هُشمت قدْ رِي

قالوا للنذر أربعين وحياً

ما غفوت لكن العصب اختمر

بلوحتي الأخيرة كنت وحيداً

في قاع القلق

وفوق طهري شقاء العابرين

خلف غيمة تفور تركت صدري مفتوحاً

ذرفت نهري وطيوري

مزقت قصائدي وبقيت أنا مجنونها

حزيناً أهلوس بتعاويذي

أكره النوم وأستيقظ ما زلت مرتعباً

ولا زلت

كلما كتبت قصيدة يموت قلبي